فى الادب التركى

البلبـــــــل

لشاعر الاسـلام

الأستاذ محمد عاكف بك

أستاذ الأدب التركى بالجامعة المصرية

بعد أن انتهت هذه المجزرة البشرية ـ التى يطلقون عليها الحرب العالمية الكبرى ـ أرغمت حكومة الآستانة على توقيع معاهدة سيفر فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، وفى هذه المعاهدة لم يضع من أيدى الأتراك كل شىء فحسب، بل انتزعت منهم بلادهم أيضاً، واضطروا اضطراراً لأن يعترفوا بوضع مصر تحت الحماية البريطانية، وانتداب انجلترا لادارة شئون العراق وفلسطين، وانتداب فرنسا لادارة سوريا ، وكان لليونان النصيب الأكبر فى إرث آل عثمان ، فقد ضمت إليهم تراقيا وأخذوا جزءاً من الأناضول وقسم الجزء الباقى إلى مناطق نفوذ بين الحلفاء الذين لم يكتفوا بهذا ، بل وضعوا رقابة دولية على الآستانة والدردنيل والبسفور بعد أن حطموا القلاع .

ومع كل هذا لم تستطع تركيا أن تحرك ساكناً، لأنها خرجت من الحرب منهوكة القوى، ضعيفة كل الضعف، حتى خيل إلى الحلفاء أنها على وشك الفناء؛ إلا أن القوة الحيوية الكامنة فى نفوس الأتراك سرعان ما دفعتهم لأن يهبوا من جديد ، وأن ينازعوا اليونان ذلك الارث العظيم، فألفوا حكومة فى أنقرة رأسها مصطفى كمال باشا، ولموا شملهم الحربى، وأعلنوا بطلان معاهدة سيفر... هنا سلط الحلفاء اليونان على الأتراك، ومع قوة اليونان الحربية والمالية، فانهم لم يستطيعوا الوقوف فى وجه الأتراك الذين حملوا عليهم حملة اضطرتهم إلى الجلاء عن أراضى الأناضول فى خريف عام ١٩٢٢ ؛ واسترد الأتراك كل ما كان لهم فى الأناضول وتراقيا فى معاهدة « لوزان » سنة ١٩٢٣ ؛ وانجلى الحلفاء عن الآستانة ، ونزلوا عن مقدار عظيم من الغرامة الحربية ، وعن كل ما لهم من الامتيازات فى تركيا . ولم تقف هذه الحركة المباركة عند تركيا وحدها ، ولكن تيار النهضة قد عم الممالك الشرقية ؛ ففى مصر والعراق والشام تفتحت الأذهان وتجمعت الصفوف، ونرجو مخلصين ألا تتفرق أو يقضى على معاهدة «سيفر» هذه، وتنال الممالك الشرقية استقلالها وحريتها .

ضاقت البارحة (١) على نفسى ،وتقمت على العالم كله ، ثم انتهيت إلى التطواف فى البرية والمبيت فى إحدى القرى ، وكانت الآفاق تظلم إذ كنت أحاول الفرار بنفسى من المدينة ، ثم أطبق على الوادى ظلام موحش .

لا ضوء ولا صوت ولا عابر سبيل ! ! انقلبت الخليقة كلها خرساء،وليس هناك نفس واحد يردد فى هذا السبات العميق ! وخيل إلى أن هذه الآفاق مثال من الانسانية الكئيبة،فرجعت أتسلق الماضى ، فأية آلام جاشت بنفسى وأية ذكرى ؟ !

وبينما تفيض نفسى بأكداف الهواجس مسلسلة ، إذا بصياح مديد يفيجس فى صدر الليل ، فماج به هذا الوجد الراكد والتعلم ! !

وتجاوبت أرجاء الوادى بخرير الأنات فى كل ناحية ! ! يارب ! أية نفثات من النار ، وأية أمواج من الصفير ! ! قد اقشعرت منها الأشجار والأحجار كأنما هى نفخة الصور ! !

* * *

أيها البلبل !! عندك الالف والف العش والربيع الذى كنت ترتقب! فما هذه القيامة ؛ وماذا دهاك ؟ قد استويت على عرشك الزمردى ، وأقمت مملكة فى السماء ، ولو وطئت كل ديار الدنيا فمملكتك لا تنالها الأقدام ! !

اليوم واد أخضر بهيج ، وغداً حدائق الورد الفانية تمرح فيها ، وأسرتك فى سعادة ، وقلبك فى هناء ، ودنياك فى سرور وصفاء ! ! إن ترد روحك الطليقة أرضاً لا خريف فيها ، فالآفاق والأبعاد الشاسعة كلها طوع جناحيك ، وإذا بسطت جناحيك لا تسعك الأبعاد بله القيود !! إن حياتك هى أقصى ما يتمناه الأحرار فى هذه الدنيا ، فلماذا تملأ الشقاء والأحزان أيامك ؟ وما هذا البحر الزاخر فى صدرك ، وما صدرك إلا قطرة صغيرة ؟

* * *

كلا ! لست بالماتم جديراً ، وإنما هى نصيبى !

إن آفاق لم تستشعر الضوء منذ قرون ، ولا حظ لى من السلوى ، وليس فى ربيعى إلا بكاء الخريف ، وها أناذا اليوم غريب مشرد فى ديارى ! ! أى خسران أن أترك ـ أنا ابن الشرق العاق ـ ديار أجدادى كلها تداس تحت أقدام الغرب ؟ لقد هاج فكرى وماج ، إذ ذكرت ديار صلاح الدين والفاتح ! ! وأية ذلة أن يدوى الناقوس على رأس « عثمان » (٢)!! وأن

(١) أنشأ ما كف بك هذه القصيدة أثناء تلك الحروب التى ذكرناها ، وقد كان هو أحد هؤلاء الجنود الذين حملوا سلاحهم للذود عن بلادهم والدفاع عن وطنهم ، كتبها فى ساعة يأس عند ما راجت اشاعات بأن اليونان قد استولوا على مدينة « بروسة » واستباحوا حرمتها .

(٢) مؤسس المملكة العثمانية .

يصمت الاذان فينمحى من ذاكرة الفضاء اسم الله ؟ وأى حرمان أن ينقلب ذلك الماضى الأمجد مرايا ؟ وأن تصير تلك القدرة وهذه السطوة هباء منثوراً ؟ وأن لا يبقى من جامع « بيلدريم » (١) إلا قبة مهدمة ؟ وأن يداس قبر « أورخان » العظيم فى أشنع صورة ؟ وأية خيبة أن تنقض جامعة الدين حجراً بعد حجر ؟ وأن يفترش الغبراء ملايين من المسلمين لا مأوى لهم ولا وزر ؟ وأن تتململ أمر بائسة تحت أسواط العذاب والنكال ؟ وأن تقطع آلاف مؤلفة من الجذوع الخاوية إرباً إرباً ؟ وأدهى من ذلك وأمر أن يطوف الأعداء الأجانب فى حرم الاسلام !!

لست بالمأتم جديراً، وإنما هى نصيبى ، فاصمت أيها البلبل !! عبد الحميد الدواخلى

(١) مسجد بمدينة «بروسة» العاصمة الاولى لآل عثمان وبها كل المشاهد المذكورة فى القصيدة .

رأى فرويد فى الاحلام

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٤١١]

ثم إننا لا نرى وجهاً لقصر الرغبات المكبوتة اللاشعورية على الرغبات الذاتية الجنسية، ما دمنا نعرف أن بعض الرغبات اجتماعى له علاقة بغريزة حب الظهور التى تعارض وتكبت من عهد الطفولة ،وتستمر كذلك أيام الشباب والرجولة ، وتكون لها آثار ظاهرة فى أحلام النوم واليقظة .

وفوق ذلك كله لا نشك أن لتداعى المعانى أثراً كبيراً فى الأحلام ، حتى فى تلك التى تتحقق بها رغبات مكبوتة فى اللاشعور ؛ فكثيراً ما تجر الرغبة المكبوتة غيرها من الأفكار أو الأعمال لما بينهما من رابطة : حتى ولو لم تكن هذه الثانية من الرغبات .

فقصر الأحلام على أنها رموز تتحقق بها رغبات مكبوتة تحتل اللاشعور مرتبطة ـ على الأخص ـ بالغريزة الجنسية ،وغريزة المحافظة على النفس ؛ تحكم لا يعضده الواقع، ولم يقم عليه الدليل العلمى .

فيحق لنا أن نأخذ رأى «فرويد» على أنه مكمل لآراء غيره من الأطباء النفسيين أمثال : رفرز (١) ومكدوجل (٢) .

وموعدنا العدد المقبل للكلام على رأى «رفرز» فى الأحلام والتجارب التى قام بها لاثبات رأيه . ؟

حامد عبد القادر

[1] W.H.R. Rivers. See his book "Instinst" and The Unconscious.

[2] William Mcdougall. See his book. "Jutlines of Abnormal psychology"